مَصْدَرُ ٱلْجُودِ مَعِينُ ٱلْكَرَمِ

ذاكَ بَدْرٌ يَسْتَنِيرُ ٱلضَّفَفَا بِضِيَاءٍ رَاقَ مِنْهُ وَصَفَا
وَإِذَا ٱلشَّاعِرُ يَوْمًا وَصَفَا حُسْنَهُ أَصْفَى كَمَنْ فِي بَكَمِ
وَهُوَ نَسَّاجُ ٱلطِّرَازِ ٱلْمُعْلَمِ

أَيْنَ قَوْلِي مِنْ ثَنَاهُ يَا تُرَى وَلَقَدْ أَعْجَزَ لُسْنَ ٱلشُّعَرَا
فَهُوَ نَارٌ وَهُوَ نُورٌ بَهَرَا فَبِوَهْجٍ مِنْهُ كُلٌّ قَدْ حَمِي
وَعَلَى غَيْرِ ٱلسَّنَا لَمْ يُحْمِ

وَلِذَا بُؤْتُ بِتَقْصِيرِي أَقُولْ يَا إِلٰهِي كُنْ مُعِينِي وَٱلْبَتُولْ
فِي وُعُوثٍ وَحُزُونٍ وَسُهُولْ وَٱدْفَعَنْ عَنِّي دَوَاعِي ٱلنِّقَمِ
فِي ٱبْتِدَا ٱلْعُمْرِ وَفِي ٱلْمُخْتَتَمِ

مريم العذراء في الشعر العامي

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

قد كنا سابقًا في عدد المشرق الذي خصصناهُ ليوبيل الجبل بمريم العذراء البريّ من الخطيئة الاصليَّة نشرنا بعض ما وقفنا عليه في دواوين الشعراء النصارى من الثناء على والدة الله. وكنَّا اشرنا آنئذٍ الى اقوال اخرى شاعت بين المسيحيين فتناقلوها وتغنَّوا بها وادخلوا بعضها في رتبهم الدينيَّة. وهذه الاقوال ليست في الغالب موزونةً على اعاريض الشعر العربيّ القديم الَّا انَّ لها ايضًا وزنًا ظاهرًا خاصًّا بها مع التقفية على طرائق معلومة تختلف اختلافًا عظيمًا كما ترى في الشعر المولَّد من الازجال والموشحات والاناشيد الغنائيَّة. فرأينا بنسبة عيد البتول الواقع في ٨ ك ١ ان نجمع من هذه الاقوال نبذًا تدلُّ على جودة قرائح مستنبطيها وهي مع ضعف تأليفها شعريَّة المعاني كثيرة التفنُّن في

التشابه رقيقة الالفاظ مطبوعة لا يشينها التصنُّع والبهرجة الباطلة وسنثبتها بحرفها. ولقدم ما وقع لدينا من هذا الصنف زجليات قالها جبرائيل بن القلاعي اسقف قبرس احد مشاهير الطائفة المارونية المتوفى سنة ١٥١٦ منها مديح وجدناهُ في نسختين قديمتين من الزجليات المارونيَّة بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة تاريخهما سنة ١٦٧٣ وهما مكتوبتان بالكرشوني بيد الشماس ميخائيل بن القسّ عبد الله من قرية بسبعل. والمديح يقيف على ٥٠٠ بيت وهذا اوَّلهُ نزويه بحرفهِ الواحد:

تكلَّمتُ في مدح البتولة مريما بصلواتها انجا من الضيق والظما
فن حبِّ مريم في المديح يترنَّما وينصت لقولي والصحيح يتكلَّما
من قد بغض مريم في ذا الوقت انقهر وفي الاخرى يورث عذاب جهنَّما
ومنها: هي عضدنا في المبدا والمنتها وهي لنا حصنًا رفيع الى السما
تحمي من العارض في الدهر كله وتخلص ايضًا من عذاب جهنَّما
لانَّ لها في الارض صيت وكرامة وايضًا توقرها ملائكة السما
لانَّ اله العرش جلَّت قدوتهُ أوحى بها في الانبياء وتكلَّما
ومنها: تعطي لنا ثمر الحياة من فروعها وتثبت بتولة لم تفكّ المواثقا
وتدعى بتولة بعد ميلاد ابنها كذلك لها مجدًا وحسن تكرّما
تمام قول اشيا النبيّ قد تفسَّر ومن قياسهِ موسى النبيّ قد تكلَّما
تظاهر بطور سينا برؤيا ذاهلة بها عليَّقة فيها نار ولم تتضرَّما
وداود أبوها قد دعاها قويَّة ومدينة ساكن بها ربُّ السما
جدعون كنَّاها غمامة مشرقًا انوارها بتضيء لاولاد آدما
ابواب مغلوقة نظر ودخل بها الاله حرقيًا المنبوط عنها تكلَّما
كذلك دانيال في جبل رفيع ومن فوقه تحرس ملائكة السما
امَّا سليمان الحكيم بمدحها دعاها عروس وامثال فيها تكلَّما
يعقوب نظر سلَّم في الارض عرقها وكان رأسها يمتى في عالي السما
وكانت بها تصعد الوف ملائكة وتنزل بها للارض وهي تترنما
ونوح دخل تلك السفينة خلص بها من غضب الطوفان وهي مرتزيا

ويمدّد القلاعي هكذا كلّ الرموز الواردة عن العذراء مريم ثم ينتقل الى ذكر اسرار حياتها الى ان قال في بشارة الملاك جبرائيل ليواقيم وحنَّة بولادة ابنتهما:

والملاك جبرئيل حقَّق كلامهم وبشَّر ليواقيم فيها وسلَّما
وقد كان يواقيم وحنَّة عاقرة وكانوا بيت الله يبكون دائما
يواقيم قد كان من ناصرة الجليل وحنة من بيت لحم والجواز اجمعهما

وسكنوا باورشليم على بدو اصلهم من بيت داود النبي المكرّما
وكان بالعمر من اربعين سنة وليس يجيهم ثمرة تورثما
وقد كان يواقيم في الصوم والصلاة يقدّم القربان في البيت دائما
ضجّم عليهِ رايبل اخوهُ وقال لهُ ما لك من قبلي تجي وتقدّما
وانا أقدّم منك بالعمر زائدًا ولي زرع بين الشعب ادخل واقدّما
وانت عدمت الزرع وحنة عاقرة على حسب الناموس انت عدمًا
ولا تدخل الهيكل ولا تحضر الصلاة ولا تأخذ القربان اذا هو تقدما
تنهّد يواقيم وسُكبت دموعه وقال حيّ هو الرب الذي رفع السما
لا اسكن باورشليم ولا اعود الى جوزتي الى ما يفتقدني الرب في رحمتها
واذا وزقني ولد يكون لهُ تقدمة واخلص من العار الذي قد تقدما
وقام من الهيكل ودمعه ينسكب منك درب اريحا وفيها توهما
وكان لهُ رعيان في النور مع النعم وصار مع الرعيان مثل احدهما
وكان يقسم ثمر القطيع ثالثة ليتيه والمسكين والضيف يكرما
اتنشقت حنّة ان قد راح بعلها بكيت وعاد الدمع من عينيها دما
قالت واسم الرب انا اثبت في البكا الى ما ارى بعلي وسنّه تبسّما
واذا افتقدني الرب في عظم رحمته اوّل ثمر بطني يكون مقدما
ويخدم في الهيكل من حين فطامه ويكون الكهنة مطيعًا ومُكرما
وقد تمّ يواقيم ثلاث سنين على اليردن يبكي ويطلع الى السما
اتاهُ ملاك الله في وجهٍ مبهجا قراهُ السلام وفي البشارة تكلّما
وقال لهُ يواقيم صلاتك وصدقتك قبلها اله العرش في عالي السما
ويعطيك من يظنك ثمرة مباركة من مخالفة حوّا ومعصية ادما
وحدّها تُدعى ثمرة مباركة بين بنات حوّا اولاد آدما

ثم يتوارى الملاك فيعود يواقيم الى بيت زوجته حنّة ويخبرها بما رأى فتعلمهُ هي ايضًا ان الملاك بشرها بمثل بشارته :

قالت لهُ حنّة يواقيم ابتهج وصدّق ملاك الله بسرّ تكلّما
لانهُ بشّرني بغرسة جزيلة وقال لي تجي بنت وتدعى مريما
وتغسلها نورًا يضيء كل مظلما ومن بطنها يأتي الخلاص لآدما
وفي طلاقها عذراء وفي حملها بتول ، وليس يدنّسها احد من اولاد آدما

. . . . . .

جذا بشرني الملاك وارتفع صدّق يواقيم والرب عظّما

ولابن القلاعي غير ذلك من المدائح اقتصرنا على هذه ليرى القارئ طريقتهُ . وفي

طقوس ورتب الكنيسة المارونية اقوال وانا شيد أخرى تقوية تدخل في هذا الباب كالسوغيت الذي يُنشد في اوّل القدّاس:

صلاتك منا يا طهر البادْ ما دام البقا وفي يوم المادْ
وفي يوم الوجلْ يضيئنا الاجلْ ارحمنا يا بريّهْ من الزللْ
صلي عنا وربّي لحالنا لانّهْ خلك بسوه فمالنا
تضرعي لاجلنا لابنك الوحيدْ لكي يرحمنا وننجو من الوعيدْ

وكالباعوث الذي يقال في اعياد السيدة:

ضديك السلام يا ام الله القويّ الجبارْ الذي اوجب السما والارض عزًّا وافتدار
ضديك السلام يا من اضحت ام الانوار قبل كون الشمس وهي بتول فخر الابكارْ
ضديك السلام يا ام الابن وابنة الاب الرب القديم الذي قد جبل آدم من ترابْ
ضديك السلام يا من ولدت رب الارباب الذي صوّر حوا لآدم لشكرا الوهّابْ

سعديكِ مريم يا من صارت ام القدوس الذي قد حبا سلالة لاوي قداسة القوس
سعديك يا من حلّ في حشاك بطهر محسوس وحيد الازلي وشاع الآب الضيا المأنوس

افرحي يا مَن من ثدييك غذوت الخالق حليباً كافياً وهو الكافي جميع الخلايق
يا من حملتِ على ذراعيكِ بحبّ فائق من تريحهُ قوات العلا فوق المشارق

للبتول مريم يعطي الطوبى جميع القبائل لان المولود منها قد نجا صكّ الرذائل
ونحن الضعفا لديها نتقدم خير الوسائل قائلين اشفعي يا حبيبة كل راجٍ وسائل

تضرعي الى الذي من نقاوتك كصبيّ قد اضا ليرحم جمعاً لتكريم ذكرك وافى وارتضى
ويقبل نا بتوسطك قربان الرضى عن انفسنا ما دام البقا وفي يوم القضا

نمجدك يا من اشرق منها وبدد الشيوم بطبيبٍ بدا وشبّيبٍ وحيد الاقنوم
لك ولابيك والروح قدسك شكرٌ محتوم ثلاثة اقانيم الهٌ واحد ليس يقسوم

وكذلك شاع عند الموارنة نشيد زيّاح ايقونة البتول الذي اوّله:

يا ام الله يا حنونة يا كنز الرحمة والمونة الخ

*

وقد اشتهر بين الملكيين في هذه الدائح والاناشيد العاميّة ميخائيل بن عبد الله حاتم مرّ لنا ذكرهُ في المشرق (٥: ٤٦٧ و ٧: ٤٢١) وقد رونا هناك أنّنا لم نقف على اخباره. لكنّنا وجدنا تاريخهُ في آخر بعض مدائحهِ فاذا هو قد كتبها سنة ٧١١٣ للعالم

الموافقة لسنة ١٦٠٥ للمسيح . ومدائحهُ مدوَّنة في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة في تاريخ سنة ٧٢١٢ لآدم (١٧٠٤ م) منها قولهُ في مديح البتول نختار منهُ ما يلي :

يا من ضياها باها شمس العلا اخباها روحي صبت يا مريم لك مذ بدت صباها
يا كم عجب لك ذائمٌ بين البرايا شائمٌ كم ضلَّ مثلي ضائمٌ لاجي لجنتك جاها
مغبوط من يقصدها وويل من يجحدها طوباهُ مستجدها عند الاياس يراها
هي عزّ من دلَّلها هي حرز من أمَّلها هي كنز من بجَّلها يوم الندم يلقاها
يا طال ما احتني بين الورى وسمتني في مدحها أثنتي من فضلها وعطاها
اصبحتُ منها شادي عنها لها انشادي من لدنها إرشادي يا ناس كيف انساها
يا مريم جودي في كل مكان وجودي باسمك علينا عودي حبي باسمك فاها
بالمجمع حاضر عندك ميخائيل حامل عبدك رام الضيا من فندك يا من ضياها باها

ولهُ مديحة في السيدة على وزن « بالله عليك يا ايها الحادي بالاظعان » ذكر فيها السيدة المعروفة بالشاغورة في صيدنايا وقد دعاها الشاعر شاهورة :

بالله عليك يا ايها الساري الى الشامْ من مصر التي ارمت بقلبي كلّ سهامْ
بلّغ صيدنايا ما بدا من فاي بسلامْ وارفع قصتّي للطاهرة مريم بإحكامْ

واقصد حصنها العالي على صمّ الحجارْ واطلب منها يا من سعى مع كل من زارْ
تقبل دعوتي مع انها تعلم يا صارْ مني وابنها بالعدل يحكم كل ظلّامْ

قلبي والحشا قد ذاب من الم الفراقِ والاعين ساحت من فيض ماءها كالسواقي
من اجل التي عن شأنها زاد اشتياقي مريم عزّ ابكار الانام وكل من هامْ

يا من حبُّها في وسط قلبي والفؤادْ قربك لي ونا لكن جفاي من البعادْ
عيدي ما عقبي من جمعنا قبل المعادْ في شاهورة وامدح لكِ من حسن إنعامْ

انتِ فخري والملتجا يا خير مَنْ جارْ انتِ مطلبي والمرتجى يا نور الانوارْ
وانتِ مكسبي والمتجا يا كنز الاسرارْ قلبي ما سلا لو سلا والجفن ما نامْ

وهي طويلة قال في آخرها :

لكِ مني السلام التام بالعرف الزكيّهْ ما ناح اليمام التام بالدوح الزهيّهْ
تاهت فكري في مدحك يا مصطفيّهْ واقبلي مني سلام الروح بسلامْ

نجل عبد الله الحاني مخايل اسمي ساعي بالله الحاضرين ابناء رسمي
يا سلام الله أنمي لمريم كلّ قسمي بالله عليك يا ايها الساري الى الشامْ

ولهُ مديحة في البتول على وزن « الله الله ربنا » على حروف المعجم :

ا ألف المدح المعظم قد سما ادرك الارض الاية (؟) والسما
اصبح العذرا السمية مريما البتول الطاهرة كل المنى

ب يا بديت المدح في ام الحبيب بالتحية والسلام المستطيب
باح سري انها امر عجيب بنت عذرا بكر ام الاهنا
. . . . . .
و والسلام التام بالعرف الزكي من فقير الله ميخائيلكي

وله في مدحها ايضاً نشاد سلسلة مشتق من دوبيت ضمّنهُ رموز العذراء قال في اوّله:

يا خلّ بسمك بيلّ واشاق نحوي وتفهّم الرموز برشاق
عن ذات نجدا (كذا) وافضل شرفاً عن مريم ستّ العالمين البتاق

وفي آخرها تاريخ تاليفها وهي سنة آدم ٧١١٣ (١٦٠٥ مسيحيّة)

لم يزال الغرام بحاتم يسمى ميخائيل يشهد مدحك دراق (؟)
تاريخ شباط عام ثالث عشر مائة والوف سبع والله الباقي

*

وقد اشتهر قوم من السريان لاسيّما الكاثوليك في الاناشيد والزجليّات والشعر العامي وكلهم مدائح عديدة في السيدة البتول تنبئ بما طُبعوا عليهِ من التقوى والتعبُّد لسيّدة الملائكة نخصُّ منهم بالذكر اسقفاً كاثوليكيًّا يُدعى طيموثاوس سُقف على ماردين في اواسط القرن السابع عشر وكان اسمهُ قبل تسقيفهِ «ضعفي حُميلي كزوك» واصلهُ من ديار بكر وقد سافر الى ايطالية وطبع هناك كتابين ضمّنهما اناشيد ومدائح شتّى بالشعر العامي. اسم احدهما كتاب زهور مناجاة الحبيب ونصائح القريب طُبع في بادوا سنة ١٦٩٠ والاخر دعاه مدائح وتسابيح تقويّة طُبع فيها ايضاً سنة ١٦٩٣ وكلاهما منقول الى الايطاليّة. والكتاب الثاني مشحون بالاقوال في العذراء الطاهرة ذكرنا منها نبذة في المشرق (٧: ٤٢١) ودونك امثلة أُخرى منها كقولهِ فيها بمقام الحجاز:

باسم مريم دائم انعم علينا تنعم بالجود والأخيار
يا برج داود يا لؤلؤ يا ياقوت الماست وزمرود منكي يتجوهر
يا ام الافراح برهان وايضاح باسمك ارتاح من عذاب النار
يا جرة المن تعزّي من الحزن خذي من المحن كل من كان منضار
يا ام المسيح غاية التفريح سليمان يصيح يا سرّ الاسرار
يا باب السما يا كرسي الحكمة يا ام الكلمة مثلكي ما صار

يا كنز العطا يا شفا المرضا يا ملجا الخطا انكي قد صار
يا ام الخالق والشمس الصادق والنجم الزارق منكي قد ظهر
يا قبة العهد يا نعمة السعد مديحي بصعد فوق طعم الانوار
يا ام الكلمه سمتا مريما منكي تجسما يسوع البار
ضعفي الدنس خاطي هو مفلس انشا الله يخلص من ثقل الاوزار

وهذه مديحة اخرى قالها في مقام الرست:

باسم الطاهرة مريم يحلا لي المديح وليس يوجد اسم اعظم كاسم ابنها المسيح
لهذا كل متكلم يكرز فيها ويصيح دايم شرفها لجيل وجيل هي فريده بلا مثيل
لها الكرامه والتبجيل والشكر والتسبيح منها الكرم والجود ما لها شبيه في الوجود
ولابنها ربنا المعبود يليق الكرامه والمجود ودايم بالدوام في كل الادهار
كيف ما ينجح امري ويرجح وزقي يربح من ما في خزاينها احتوى ياخذ كل انسان بما نوى

من الدر الفاخر

(قفل) جبرائيل قد نزل مقبل واقراها السلام
الى العذرا وقال تحيل مدبّر الانام
وقالت كيف انا اقبل كلامك يا غلام
كيف يكون هذا المخبر وانا لم اعرف رجل
فسّر لي متواضعاً مجهر كلامك بالتصحيح
الاب فيكي سرور وروحه عليكي حضور
والابن منكي في ظهور لينقذ شعبه ويزور
ويخلص الانام من يد المكار
انتي هي نور الانوار انتي هي كنز الاسرار
فيكي جميع الابرار وجدوا لدايم دوا
من ابنكي الذي احتوا في بطنكي الطاهر

قفل

لها اسم قوي عالي في الارض والسما وذكر عالي متعالي ذه العذرا مريما
وفيها يصلح حالي ولو كنت في ضما ادعيها في كل خطر واجد فيها الظفر
واكون جا منتصر على الاعدا واستريح رأى موسى باعلا الطور عليق وفيه نار ونور
ومار الياس المشور تنبوا بالظهور عن ست الانام ويوسفها التجار
ام دياني الرحماني فيها الحاني تحلا حتى كرة الهوا وتقبل منكفه بالثوا
ذيلها الطاهر

قفل

لابسه بالشمس رداها وتحت رجليها القمر يتلالا كالنور ضياها وهي نجم الفجر

لولاها والله لولاها لكنا في الخطر هي صباحي وهي مصباحي فيها افراحي
تتزايد صحيح
هي هي سعدي ونكيل وعدي وغاية قصدي حبي وودي
وفيها قلبي باضطرام وحبها فيه كالنار
هي هي ديني مستبني فيها . يقيني تنقّى وانضوى وقلبي في ودها انكوى
وحبها في المخاطر
القفل الاخير
ضعفي خاطئ متوان ولي هذا المديح وانا من ملة السريان وجا نظمي فصيح
ديني ثابت في الازمان وهو دين صحيح على الصخرة ثبوت وعليه انا احيا واموت
وارتقي به للملكوت واحظى بالمسيح مديحي يليق لايجلو بجمال مريم ليجملوا
وكالشهد تجده حلو لهذا اعيده واكملو ليحلا الكلام كحلى المزاو:
في مدحك يابتول اسالك على احسانك وعدلك واقوال العدو اتركك
انمضي في الهوا

*

ومن اشتهروا ايضاً بين السريان بهذه الاقوال العاميَّة القس يوحنَّا او حنَّا السرياني افادنا عنهُ الطيب الذكر البطريرك عبد يشوع خيَّاط قال انهُ كان موصلياً كاثوليكياً وهو المعروف بابن سُكَّر ويلقَّب بابي هزار عاش في اوائل القرن التاسع عشر ولهُ حفداء احياء في نفس الموصل حتى اليوم ونظم مدائح كثيرة باللغة الدارجة غير مطابقة اللغة العربية وهي مندرجة في مجموعات من هذا القبيل متداولة بايدي الناس الاتقياء يترنَّمون بها في سهراتهم الإلفيَّة وسائر مجالسهم الطربيَّة واكثرها في السيدة البتول وابنها الرب يسوع . وهي مُطبَّقة على اغاني دنيويَّة . من ذلك قولهُ:
ارحمي عبداً دعاكِ ومن ذنوبهِ شاكي ملتجئاً في حماكِ ايا زينة النصارى
قفل
فيكِ حبلُ اتصالي انصتي الى اقوالي لا تردّي سؤالي ايا فخر العذارى
قفل
انت هي باب الجنَّة منك اطلب واتمنَّى ناظم مدحك يوحنا حقيرًا في النصارى
وقال ايضاً فيها مديحةً ازليها:
سلام سلام سلام على البكر مريم ومجد الانام
ايا لساني قول المديح وامدح المخدرة ام المسيح
في مدح مريم قلي قريح يامن يسمع اعطيها السلام

اسمها ذائع في الانام افرنج وعرب هند واعجام
بغداد وبصره حلب والشام وجميع الاماكن بمدوك السلام

ولهُ ابتهال للعذراء اصولهُ ١٦ وقدفهُ ٢٤ صـا:

في البتول ام المعظم اه اه اه ان ذا المدح يطيب
هي السنية مرقرم ٭ من قصدها ما يخيب

حبك ياذا النقا ٭ زاد في قلبي لهيب
مريم ام التقى ٭ يا بتول ام الحبيب

زال عمري وايش بقا ٭ صار في داني الطيب
فداويني من الشقا ٭ لاتوب واندم قريب

ولهُ ايضاً مديحة في مقام نيروز اولها:

قصدت البتول من قبل ما تدنو منّي اسأل ابنها يغفر ذنوبي وزلتي
في يوم اقف عريان ليقضي قضيتي
تشفع لي ام النور وابقى بالفرح مسرور
حتّى اصعد لفوق الطور حين يقول المسيح الحي جوزوا لجنّتي
انا هو الراعي الصالح وانتم رعيتي
يا ام النور جيرينا واخزي من يؤذينا يا متشفعة فينا عذرى نقصدك لا تخيبنا

وكان للقس يوحنا المذكور ابن اخ يُدعى يوسف سكّر اشتهر كمتهِ بالاناشيد الروحيّة

*

قال غبطة السيّد عبد يشوع: ومن اصحاب هذه الانظام الراهب يسوع وهو مجهول النسب عاش في الموصل في القرن الثامن عشر وكان سريانيًا ويظهر من قولهِ انهُ كان يزيديًا من جبل سنجار في الموصل وتنصّر. ومن مدائحهِ في العذراء قولهُ:

في الشدائد انا امدحك مريم بتولي
وارجو منك غفران ذنبي عذرا حنوني
(نقل) بالهيكل كنت تكتين مريم بتولي
خطبك يوسف الامين عذرا حنوني
(نقل) ارجو منكم يا اخوتي بجاه البتولي
اذا قمتم في الصلاة اذكروني اذكروني

ومن نظمهِ فيها:

طوبـاك عـذرا مريم ام يسوع العالي
اشفعي لي عنـد ابنك يغـفر اوزاري
(قفل) لـست اقدر ان امدحك يـا سما الـثاني
ارتقيـتي في المراتب وشأنك عـالي

وفي آخرها بيّن اصلهُ:

من جبل سنجار اتيت وصرت نصراني
اشكر انعام ربي يسوع على مـا اعطاني

وقد وجدنا لهُ في مجموع قديم في خزانة مكتبتنا مديحة في وزن « يا دان يا دان » اوّلهـا:

اريد امدح العـذرا ست انبات والنسوان
ولدت لرب القدره واشهدوها الرعوان
والكوكب كانه زهره واهدى القوم الفرسان

وفيها يقول: يد حوا خرجنا من جنّة الفردوس
وجا قد رُشقنا مثـل سهام القوس
وبجرم قمنـا كلنـا من اكراب الـدوس
بالاثم خسرنا النور وبرم ودتنـا الليت
الحية فتحت القبور وبجرم قد تباهيت

*

ومن اصحاب هذه الاناشيد المريمّة القـس عيسى الموصلي ويُدعى عيسى المزار كان كاثوليكيًا ولا يعلم أكان من طائفة الكلدان ام من السريان. والمرجّح انهُ عاش في اواخر القرن الثامن عشر وحكي عنهُ انهُ في ليلة تنقّى على السطوح باغانيهِ الروحيّة فحنق عليهِ بعض اعدائهِ فارادوا لهُ سوءًا فهرب مختفيًا وكان ذلك آخر العهد بهِ ولعلهُ ذهب الى القدس وهناك قضى عمرهُ. وقد وجدنا من نظمهِ في احد مجاميع مكتبتنا مديحة للعذراء الطاهرة في مقام الرهاوي اوّلها:

يا سيدة النصارى يا مصباح الظلام يا قبة الاثارة يامركب السلام
قوموا يا نصارى تمدح البتول في ست العذارى حارت العقول

*

وقد عُرف بين الكلدان في هذا الصنف من التآليف القس خدر الكلداني الموصلي

الذي فاقت شهرتهُ في الموصل على بني عصره وكان من خورنة مار يشوعياب وكان ابوه يدعى الشماس الياس لم يزل نسلهُ في الموصل حتى اليوم . وعاش في اوائل القرن الثامن عشر وكان نسطوريًا فجحد بدعتهُ واقبل الايمان الكاثوليكي وعلَّم الصبيان مدَّة طويلة في الموصل وفيها ألَّف الالحان المنسوبة اليهِ المستعملة لدى الكلدان والسريان بالعربيَّة في نواحي العراق والجزيرة . وقد ترجم ايضًا من الكلدانيَّة الى العربيَّة اناشيد ومداريش تستعمل حتَّى اليوم عند السريان والكلدان . ولهُ ايضًا خُطب وتعزيات تقرأ على الموتى على نسق خُطب مار ايليا المعروف بابي الحليم واخباره مع تفصيل تآليفهِ قد مرَّت في المشرق (٤ : ٨٥٢) وكانت وفاتهُ سنة ١٧٥٥ . ومن اناشيده مديحة للام الحزينة على كل حروف الابجد تشبه الطلبة التي ينشدها اهل زماننا . هذا اوَّلها :

آه يا مريم قد صار حزنك سورًا حصينا
(الردّه) بجاه آلامه ياحنونة ارحمينا

بالصلاة ابنك عرق دمًا وبهِ نجينا (بجاه الخ)
جنود الاعداء ضبطوه مكتوفًا سيرًا

ولهُ اخرى طويلة يقول فيها :

(ردّه) اشفني في عبدك مريم وارحمينا
يا ام الرحمان ورحمة بارينا

يا بتول مقدسة ومقدس فادينا (اشفني الخ)
يا وردية زكية بطيب نشرك حيينا
يا زين الافاضل وافضل ما عطينا (اشفني الخ)

ومن مدائحهِ ايضًا قولهُ فيها :

اريد امدح بافراحي مريم نجم الصباح
هي رشدي هي مصباحي نورها شارق ضاحي

وقال في آخرها :

اسمي الحقير الثاني خدر اصلي كلداني
فيك ثابت تكلاني اشفي جرحي الروحاني

*

وقد اشتهر ايضًا بين الكلدان الناظم الشماس الياس بن المقدسي يوسف بن يونان

الطويل الكلداني الموصلي سيم قسيساً على البصرة وبها توفي قبل عشرين سنة . فمن نظمه في البتول :

يا عذرا نور الناس حلوه ومكلله براسها
جبرائيل قدم البشرى بشرها بنادي الناس

ولدت كوكبا صبيح ودعي اسمهُ المسيح
الملائكة باصوات التسبيح اليوم ولد فادي الناس

لوك الفرس جاوزوا سائلين ليت لهم وهم نائلين
قد ولد اليوم المعين جتنا نحني لهُ الراس

وآخرها : ناظمها قاصد التوبه خمسه حروف اسمهُ مكتوبه (الياس)
راجي العفو هنا التوبه ذنوبه قد علت راسه

*

وقد وجدنا ايضاً لبعض الارمن الكاثوليك مدائح كهذه قالوها باللغة الدارجة اسم احدهم يوسف الصائغ الحلبي. قال هذا الابتهال في العذراء اصلهُ صوفيان وجدناه في مجموع مخطوط كُتب منذ نحو مئة سنة بتيف :

(دور) يا ام الهادي . يا مريما انت اعتادي . صدقاً حقيق
(لازمة) لا تسأل ما بي . عن وصفها لما الملاك . تهدي السلام
(دور) انا ندعوك . وقت الصباح ايضاً نرجوك . لنا الصلاح
« لك نصلي . وقت الضحى لا تتخلي . عن طُرحا
« لها تتضرع . وقت الظهور فينا تتشفع . عند الغفور
« لك نترجى . وقت الغروب كوني لي ملجا . لاندم واتوب
« انا نقصدك . وقت العشا ربي انتخبك . من الحشا
« فيك نترنم . وقت السلام يا ام المعظم . خير الانام

وقد ختم مديحاً اخر بذكر اسمه :

انا الارمني فيها متنني مدى الايام
ويوسف سبت . صائغ كنيت من بيت كرام
مولودي حلب جدي منتسب قس منتخب
حزت الادب والاحتشام
وانا المستجير برب قدير يجبني المرام

وقال آخر من طائفته اصوله اقصى سماعي :

البكر مريم حلوه الشيم تنظر ذلي بالشفا ترحم حالي
من لها كرّم ربنا الاعظم وارتقاها سابه فوق الموالي
تقبلي امدحي هلّلي دائم مَن بها شفا علّلي قائم
لرب الملى في توسلي انت الشفيعه لا يطردك سؤالي

ولها عدّة ادوار اكتفينا منها بهذا. وقد وجدنا لغير هؤلاء مدائح اخرى عديدة لو جُمعت لأتَت على مجلّد ضخم واكثرها لم يُعرف قائلوها وانّما الجاميع التي لدينا تدلّ على انهم عاشوا قبل مئة سنة بنيّف . وبعض هذه الاناشيد قد خُتمت باسماء اصحابها دون افادة أخرى عن احوالهم . منهم الاديب دواود السرياني والشمّاس عازر وعبد يشوع وزكّيا الكلداني وعبد المسيح عطّار بن القسّ يوسف الكلداني ونظنّهُ هو الذي صار اسقفًا على ماردين باسم طيموثاوس عطّار. ولكلّ هؤلاء كما وللذين سبق ذكرهم اقوال مختلفة في مواضيع شتّى لم يحصروها في السيدة العذراء بل في كل المواضيع الدينيّة حتى انهم كادوا ينظمون كل اقوال الانجيل الطاهر وما ورد فيه من الامثال فضلًا عن جميع اسرار حياة المسيح. وفي درس اناشيدهم فوائد تاريخيّة وادبيّة ودينية لعلّنا نعود اليها اذا سنحت الفرصة . وفي ما جمعنا كفاية لبيان تقوى هؤلاء الناظمين وخلوص ايمانهم وسذاجة اخلاقهم وتعبُّدهم الصادق لأطهر العذارى وسيدة الخلائق

الابرشيات المارونيّة وسلسلة اساقفتها

بقلم جناب الاديب الشيخ سليم خطار الدحداح (تابع)

٤ ابرشية بيروت (*)

ذكر البطريرك الدويهي في تاريخه اسقفًا واحدًا قبل عهده واسقفين في مدّة بطريركيته تولّوا ادارة ابرشية بيروت وهم:

(الاول) الاسقف يوسف. ذكر المؤرخ المشار اليه (ص ١٧٥) ان البطريرك مخايل الرزي سام الاسقف يوسف في سنة ١٥٧٧ مطرانًا على بيروت فهذه الافادة مقتضبة لا

* راجعنا لكتابة هذه المقالات تاريخ الطائفة المارونية مع سلسلة بطاركتها للدويهي والنبذة في المقاطعة الكسروانية وبرنامج اخويّة القديس مارون (حيث تجد رسوم هؤلاء الاساقفة وتفاصيل اعمالهم) وبعض معلوماتنا الخاصّة